Safiyüddin el-Hillî'ye Ait Medih Şiirlerinin Dinî Mirasa Etkisi*

Eiad JAMOUS
Doktora Öğrencisi, Yalova Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi, Arap Dili ve Belâgati
eiad8818000@gmail.com
https://orcid/0009-0008-5312-2024

ÖZ

Safiyüddin el-Hillî, özellikle medih şiirlerinde Kur'an-ı Kerim'den ve hadislerden etkilenen şairlerden biridir. Bu etki sadece şiirlerinde Kur'an'dan alıntı yapmasıyla sınırlı kalmamış, aynı zamanda bazı sözlerinde de kendini göstermiştir. Doğrudan alıntı, el-Hillî'nin övgü şiirlerinde en az görülen türlerden biridir. el-Hillî'nin şiirindeki Kur'an metni kimi zaman açık, kimi zaman gizli, kimi zaman Kur'an metniyle tutarlı, kimi zaman da çelişmektedir. el-Hillî, özellikle övgüyü amaçlarken birçok imge ve fikir sunarak Kuran'dan alıntı yapma tarzında başarılı olmuştur. el-Hillî'nin sahip olduğu Kur'an kültürü -tüm biçimleriyle- okuyucunun anlayabileceği en geniş anlamsal boyutu vermeye çalıştığı birçok fikri aktarmasına olanak sağlamıştır. Onun şiirleri birçok hadisle karakterize olmuştur ve el-Hillî bu şiirlerle dini kültürün şiirsel anlamlarını güçlendirmeyi amaçlamıştır. el-Hillî'nin Kur'an-ı Kerim'den etkilenmiş olması; şiirlerinde anlamları, sözcükleri ve imgeleri kullanım tarzıyla kendisini göstermektedir. el-Hillî şiirlerinde bazı surelere de atıfta bulunmuştur: Necm, Talâk, Fetih, Hacc, Ahzâb, Tebbet, İnşikâk, Tâhâ, Kaf, Nisâ. el-Hillî, Sultan en-Nâsır ve Sultan el-Mansur Necmeddin Ebu'l-Feth Gazi b. Artak'a yakınlığı nedeniyle dinî hikâyelerden etkilenmiş ve onlardan yararlanmıştır. el-Hillî, beyitlerine güzellik katmak amacıyla Peygamber Efendimizin sözlü ve yazılı hadislerinden de iktibas yapmıştır.

Anahtar Kelimeler: *İktibas, el-Hillî, Şiir, Medih.*

The Impact of Praise Poetry on The Religious Legacy According to Safi al-Din al-Hilli

ABSTRACT

Safi al-Din al-Hilli is one of the poets who were influenced by the Holy Quran and the noble Prophetic traditions, particularly in his eulogistic poetry. His influence goes beyond mere Quranic quotations in his poetry; it is evident even in some of his statements. Direct textual citation is one of the less common forms present in al-Hilli's eulogistic poetry. The Quranic text appears explicitly or implicitly, and it is sometimes in accordance with the Quranic text and at other times deviates from it **.**

al-Hilli excelled in the style of Quranic citation, presenting a beautiful collection of imagery and ideas, especially in praise poetry. His profound Quranic knowledge, in all its forms, enabled him to convey multiple ideas, attempting to provide the reader with a greater semantic dimension that can be understood. Al-Hilli's poetry is characterized by a collection of noble Prophetic traditions that he used to enhance the poetic meanings with religious culture. He was influenced by the Holy Quran, and its effects are evident in his poetry through the usage of its meanings, vocabulary, and imagery. In his poetry, al-Hilli references some Quranic chapters, such as An-Najm, At-Talaq, Al-Fath, Al-Hajj, Al-Ahzab, Al-Masad, Al-Inshiqaaq, Taha, Qaf, and An-Nisa. Al-Hilli was also influenced by religious narratives and benefited from them due to his proximity to the Sultan Malik An-Nasir and King Al-Mansur Nujumuddin Abu Al-Fath Ghazi bin Artuq. He drew upon both the textual and verbal Prophetic traditions, utilizing them to embellish his poetic verses.

Keywords: *Textual Quotation, Verbal Quotation, al-Hilli, Praise Poetry*

* Makale Geliş Tarihi / Received: 26.02.2022
Makale Kabul Tarihi / Accepted: 15.04.2022

أثر شعر المديح على الموروث الديني عند صفي الدين الحلّي

الملخص

صفي الدين الحلّي أحد الشعراء الذين تأثروا بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ولا سيّما في شعره المدحي، ولم يقتصر تأثره على الاقتباس القرآني في شعره فحسب، بل ظهر ذلك التأثر حتى في بعض أقواله، والاقتباس النصي المباشر من أقل الأنواع حضوراً في شعر الحلّي المدحي، والنصّ القرآني في شعر الحلّي جاء جليّاً تارةً، وخفيّاً تارةً أخرى، وجاء موافقاً للنصّ القرآني تارةً ومخالفاً له تارةً أخرى، وأجاد الحلّي في نمط الاقتباس القرآني، فهو أدلى بمجموعة جميلة من الصور والأفكار، ولا سيّما في غرض المديح، والثقافة القرآنية للحلي – بكل أنواعها – مكّنته من إيصال أفكار عديدة حاول فيها إعطاء أكبر بعد دلالي يفهمه القارئ، ووسِمَ شعر الحلي بمجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة، التي يبتغي منها تعزيز المعاني الشعرية بالثقافة الدينية، وتأثر الحلي بالقرآن الكريم، وظهر آثاره في شعره، وذلك من خلال استخدامه معانيه وألفاظه وصوره، وأشار الحلي في شعره لبعض السور مثل: النجم، الطلاق، الفتح، الحج، الأحزاب، المسد، الانشقاق، طه، ق، النساء. وتأثر الحلي بالقصص الدينية وأفاد منها بحكم قربه من السلطان الملك الناصر، والملك المنصور نجم الدين أبو الفتح غازي بن أرتق، واقتبس الحلّي الحديث النبوي الشريف النصي واللفظي وبالإشارة لتجميل أبياته الشعرية.

مقدّمة

تُمثّل الثقافة جزءاً من معطيات حياة الشاعر، وسبيلاً ممهّداً للتعبير عن تجاربه الحيويّة، إضافةً إلى أنّها من مكوّنات فنّه الرئيسة. فالشاعر لم يكن منعزلاً عن الثقافة طوال التاريخ، لكنّ تجربته المباشرة ظلّت هي المصدر الأهم لفنّه –مع ما فيها من تداخل المعارف المكتسبة والثقافية المتداولة– خلال العصور. والتراث العربي الذي تعددت مصادره المرجعية جزء من الثقافة بمعناها الواسع، فإذا كانت الثقافة تشمل جميع المضامين فإنّ التراث يمكن أن يكون كذلك، مع اقتصاره على زمن مضى اصطلح الناس على وضع الحدود الفاصلة بينه وبين زمن آخر، وأما الثقافة ففيها القديم والجديد، الماضي والحاضر على حدّ سواء.

ويعدّ التوظيف الديني في شعر صفي الدين الحلّي[1] من أهم صور التوظيف عنده، فقد وظّف كثيراً منه في شعره المدحي، حيث توقف الشاعر عند بعض الآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، وتمثّل معانيها، وأدخلها في شعره، فقد ظهر أثرها في شعره، وقد أعطى ذلك التأثر شعره قوّة في التعبير، وأسلوباً سهلاً أزاح عن طريقه خشونة الألفاظ الجاهلية التي كانت سمة بارزة في الشعر العربي القديم.

مشكلة البحث

كانت قوّة الأسلوب، وبلاغة التعبير في القرآن الكريم مثار إعجاب الشعراء، ومدعاةً لتأثيرهم بأسلوب الكتاب العزيز، حتى بدا ذلك واضحاً في نتاجهم الأدبي باقتباس آي من الذكر الحكيم، ومن هنا جاءت مشكلة البحث في توضيح أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في الشعر العربي ولا سيّما في شعر المديح عند صفي الدين الحلّي، وتوضيح الأنماط المختلفة لهذه الاقتباسات.

فروض البحث:

1- تأثّر الشعراء العرب في مختلف العصور بنظم وأساليب القرآن الكريم.

2- اقتبس صفي الدين الحلي في شعره المدحي من آي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

3- تنوّعت أنماط الاقتباسات الشعرية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في شعره المدحي عند صفي الدين الحلي.

[1] أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز بن سرايا، هو الإمام العلّامة البليغ المفوّه، الناظم الناثر، شاعر عصره على الإطلاق، صفي الدين الطائي السِنبسي الحلّي. ولد في الحلّة بالعراق يوم الجمعة الخامس من شهر ربيع الآخر سنة (677هـ) في قرية مشهورة في طرف دجيل بغداد، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ، وبها نشأ، وتوفّي ببغداد سنة (750هـ) أو (752هـ).

ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، (د.ط)، 1977م، ج:2، ص:295. والكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيّات، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ج:2، ص:335.

أهداف البحث:

1- توضيح تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في أساليب ونظم الشعراء العرب.

2- توضيح الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم وأساليبه ونظمه في شعر المديح عند صفي الدين الحلي.

3- توضيح الأنماط المختلفة للاقتباس في شعر المديح عند صفي الدين الحلي.

منهج البحث:

سأعتمد في هذه الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ لما يؤدّيه من دور في تفكيك الظاهرة، وتحليلها، وتوصيف الصّور.

الدراسات السابقة:

- دراسة مقدمّة من الطالبة هناء فلحان القرشي، بعنوان: الاقتباس والتضمين في شعر ابن درّاج القسطلي، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدّمة لكليّة اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1434 – 1435هـ.

الكلمات المفتاحية:

الموروث – الديني – الشعر – المديح - صفي الدين الحلّي

المبحث الأوّل

الاقتباس من القرآن الكريم في شعر المديح عند صفي الدين الحلّي

مفهوم التراث الديني:

أنزل الله تعالى القرآن على نبيه نوراً وهدىً لما في الصدور، فأحكم آياته، وألزم الناس الخضوع له، قال تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ" (سورة المائدة 44)، ولا شكّ في أنّ النص القرآني نصٌّ معجزٌ فريدٌ تحدى الله به عباده، قال تعالى: "قل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً" (سورة الإسراء 88)، فمنذ نزوله على نبيّنا صلى الله عليه وسلم كان لتأكيد عظمة الخالق وقدرته، ولنشر نور الإسلام في النفوس، ولتوطيد العلاقات الإنسانيّة بين أفراد المجتمع؛ لما فيه من قوّة في التعبير، وبلاغة في الأسلوب، كانتا مثار إعجاب الشعراء، ومدعاةً لتأثرهم بأسلوب الكتاب العزيز، حتى بدا ذلك واضحاً في نتاجهم الأدبي باقتباس آيٍ من الذكر

الحكيم، ذلك أنّ "الاقتباس القرآني إشارة دلالية حاسمة مع إيجازها"[2]، تستدعي المتلقّي إلى ذائقة الشاعر الدينية، وجمال التوظيف الفني، فمنذ أن بزغ نور الإسلام ما فتئ الشعراء ينهلون من معين التعبير القرآني، ويتأثرون بنظمه، وسبكه، ولعل تأثر الشعراء – ولا سيّما الشاعر المسلم – يعود إلى أنّ الشاعر قد تلقى تعاليم القرآن منذ صغره، فلا بدّ من أن يتسرب شيء من ألفاظه وأساليبه إلى الذهن، مما يؤدي بالشاعر إلى التفاعل مع النص القرآني، وهكذا أفاد الشعر العربي من الموروث الديني إفادةً واضحةً، وذلك من استدعائه لكثير من النصوص السماوية.[3]

التّراث لغة واصطلاحًا:

لغة: التّراث لغة مشتقّة من الفعل الثّلاثي (ورث) فقلبت الواو تاء لثقل الضمّة على الواو، وتدلّ مادّة (وَرَث) في المعاجم اللغويّة على المال الموروث، أي الذي يخلّفه الرجل بعد موته لوارثه.

وجاء في لسان العرب: "الورثُ والوارثُ والإراثُ والوراثُ والتراثُ، والتراث واحد من الميراث أصله موراثٌ انقلبت الواو ياء وكسر ما قبلها والتراث أصل فيه واو".[4]

اصطلاحًا :"ما خلّفه السلف من آثار علميّة وفنية وأدبية، مما يعتبر نفيساً لتقاليد العصر الحاضر وروحه".[5]

ويضيف سيّد عليّ إسماعيل قائلًا: "إنّ التّراث مستمرّ معنا إلى الآن بصورة أو بأخرى، وغالبًا ما يختلف من زمن إلى آخر، فالتّراث يتشكّل في كلّ فترة زمنيّة عن الأخرى، ونظرة الإنسان إليه تختلف، ووجهات النّظر تتفاعل بالأخذ والعطاء".[6]

---

[2] عباس، عرفة حلمي، الاقتباس القرآني والحديثي في مقامات الحريري، (د.م)، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص: 230.

[3] هياجنة، محمود سليم، الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، عمان، عالم الكتب، 2009م، ص: 243.

[4] ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مجلّد 2، ط 2، 1992م، ص: 199 – 201.

[5] وهبة، مجديكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984م، ص:93.

[6] إسماعيل، سيّد عليّ، أثر التراث العربيّ في المسرح المعاصر، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص: 43.

والتراث يبدأ بفرد، فإذا أقرّته وقبلته المجموعة تبنّته وتناقلته وورّثته للأجيال بعدها، "يخلده التاريخ لما فيه من قيمة في ذاته يؤثّر بمن جاء بعدهم يعتزون به، ويعدّونه جذورهم التي يتغذون منها لمواصلة حضاراتهم العريقة".[7]

أمّا تحديد زمن التراث فذاك من الصعب معرفته متى بدأ وأين تنتهي جذوره أو تحديد وجوده التاريخي على الحضارة العربية بعد الإسلام[8]. لكن التراث الديني الإسلامي يرجع إلى بداية الخليقة، فعندما يذكر أي شاعر أبانا آدم وأمنا حواء عليهما السلام فهو يعود بالمتلقي إلى أساس البشرية. "ولا يخفى ما للدين من أهمية في حياة الناس، لما له علاقة بعواطفهم، إذ ليس هناك عاطفة أقوى من عاطفة الدين. من هذا المنطلق يوظف الأدب تراثه الديني ضمن إنتاجه الأدبي واعياً أو غير واعٍ، مباشرة أو غير مباشرة، مثيراً في القراء مشاعرهم الدينية بغية تلقي استجابة أكثر من قبلهم".[9]

والذي حفّزني لتحديد الموروث الديني عند صفي الدين الحلّي أنّه شاعر فذّ ذو موهبة أدبيّة مبدعة، فالقارئ لديوان صفيّ الدين الحلّي يدرك تماماً أنّه يتمتّع بثقافة دينيّة ثريّة، أفادها من القرآن الكريم في المقام الأوّل، ثمّ الحديث الشريف، والسيرة النبويّة، والفقه، والمذاهب الإسلاميّة في الدرجة الثانية، فقد حفظ الآيات القرآنية الكريمة ووظفها في شعره المدحي مقتبساً ألفاظها ومعانيها، وربّما يكون أكثر شعراء العربيّة ميلاً إلى ذلك، فظهر تأثّره بعشرات الآيات القرآنيّة الكريمة التي وظّفها في شعره، ويدلّ ذلك على أنّ الشاعر تعلّم القرآن الكريم، وتفقّه فيه، وحفظ الكثير منه حتّى ظهر أثره جليّاً واضحاً، فلا نكاد نقرأ في ديوانه أربع قصائد أو خمساً إلا ونعثر على أثر آيتين أو أكثر من القرآن الكريم، وظهر هذا التأثّر صريحاً أو مكنيّاً.[10]

ونشير إلى أنّ تمثّل النصّ القرآني في شعر الحلّي قد يأتي جليّاً تارةً، وخفيّاً تارةً أخرى، وقد يأتي موافقاً للنصّ القرآني تارةً ومخالفاً له تارةً أخرى، أمّا التمثّل القرآني الذي جاء على الموافقة – فإنّه في أحيان

---

[7] الجبوري، جمعة حسين يوسف، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع – مؤسسة دار الصادق الثقافية ، ط1، 2012م، ص: 22.

[8] المصدر نفسه، ص: 23.

[9] أصفهاني، محمد خاقاني – جلائي، مريم، التراث الديني في شعر سميح قاسم شاعر المقاومة الفلسطينية، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد: 5، ربيع 1390هـ – 2011م، ص: 4.

[10] الأيوبي، ياسين، صفي الدين الحلّي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1971م، ص:87.

أخرى – يأتي متحرّراً تماماً من هذه الموافقة؛ ليدخل في علاقة ضديّة تعني الموافقة والمخالفة على صعيد واحد.

ومن توظيفات الحلّي لآيات القرآن الكريم في ما قاله في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:[11]

مُحَمَّدُ المصـــطَفى الهادي الَّذي اِعتَصَـــمَتْ بِـهِ الـوَرى فَـهَـداهُـم أَوضَـــحَ الـطُـرُقِ
وَمَن رَقي في الطِباقِ السَـــبعِ مَنزِلَـةً مـا كـانَ قَـطَّ إِلَـيـهـا قَـبـلَ ذاكَ رَقـي
وَمَـــن دَنا فَـتَـدَلّى نَحـوَ خـالِـقِـهِ كَـقـابِ قَـوسَـــينِ أَو أَدنى إِلى الـعُـنُـقِ

(البسيط)

يمدح الحلّي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكر فضله في هداية الورى بعد أن كانوا تائهين في الضلال. ويتطرّق إلى حادثة المعراج التي جعلته يقترب من خالقه عزّ وجلّ اقتراباً كبيراً، وقد عبّر عن قرب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله عزّ وجلّ مستعيناً بالآيتين الكريمتين: "ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ" (سورة النجم 8–9). فالنص القرآني بآيتيه يفصح عن الرعاية الإلهيّة ومحبّتها للرسول العظيم. والشاعر نسخ النصّ القرآني بحرفه وألفاظه ليوظفه في الكشف عن منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربّه وعند الورى، وهذا التوظيف يدلّ على تماثل بين النصّ القرآني والنص الشعري. فالشاعر أخذ المعنى الدالّ على القرب والمنزلة العظيمة، وأخذ ألفاظ الآيتين الكريمتين، واستطاع أن يوظّفهما توظيفاً جيّداً.

وقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة المنوّرة:[12]

بِكُم يَهتَـدي يا نَبِيَّ الهُـدى وَلِيٌّ إِلى حُـبِّـكُـم يَـنـتَسِـــبْ
وَقَـد أَمَّ نَحوَكَ مُســـتَشـــفِعاً إِلى اللهِ مِمّـا إِلَـيـهِ نُسِـــبْ
سَـــلِ اللهَ يَجعَـلْ لَـهُ مَخرَجـاً وَيَرزُقُـهُ مِن حَيـثُ لا يَحتَسِـــبْ

(المتقارب)

[11] الحلي، صفي الدين، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت: دار صادر، ط1، (د.ت) ، ص:84.

[12] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:86.

بعد عودة الحلّي من رحلة الحج زار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند وصوله المدينة المنوّرة كتب هذه المقطوعة يخاطب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفصح عن حبّه له، ولإتمام المعنى اقتبس قوله تعالى: "وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ" من الآية الكريمة: "فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً" (سورة الطلاق 2-3). فالنصّ القرآني ورد في الحديث عن الطلاق، وقد وظّفه الشاعر ليعبّر به عن حاجته إلى عفو الله عزّ وجلّ وطلب الرزق منه، وجعله عجزاً لبيته الأخير دون أن يغيّر أيّ شيء، وهذا الاقتباس جاء مناسباً لمعنى الدعاء الذي أراده الشاعر.

وقال في مدح آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم:[13]

يا عِترَةَ المختارِ يا مَن بِهِم يَفوزُ عَبدٌ يَتَوَلّاهُمُ

أُعرَفُ في الحَشرِ بِحُبّي لَكُم إِذ يُعرَفُ الناسُ بِسيماهُمُ

(المتقارب)

يرى أنّ العبد الفائز هو الذي يتولّى عترة المختار، ويوم الحشر يُعرف الشاعر بحبّه لهم، وهذا الحبّ يكون في علامة واضحة، فالناس يعرفون بسيماهم، وقد أخذ الشاعر عبارة (يُعرَفُ الناسُ بِسيماهُمُ) من قوله تعالى: "سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً" (سورة الفتح 29)، فالشاعر استعان بالمعنى أكثر من استعانته باللفظ، إذ إنّه لم يوظّف سوى كلمة واحدة (سيماهُمُ)، في حين وظّف المعنى المراد بالآية الكريمة ليكون مناسباً للمعنى الذي أراده، ليدلّ به على العلامة المحددة في ذلك اليوم المشهود.

[13] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:87.

وقال يمدح عليّاً رضي الله عنه، وقد سمع قول ابن عباس: "جُمعت في عليّ أضدادٌ لم تُجمع في بشر قطّ، ثمّ ذكر تفصيلها:[14]

جُمِعَت في صِفاتِكَ الأَضدادُ فَلِهَذا عَزَّت لَكَ الأَندادُ
ظَهَرَت مِنكَ لِلوَرى مُعجِزاتٌ فَأَقَرَّت بِفَضلِكَ الحُسّادُ
إِن يُكَذِّب بِها عِداكَ فَقَد كَذّ بَ مِن قَبلُ قَومُ لوطٍ وَعادُ
إِنَّما اللهُ عَنكُمُ أَذهَبَ الرِجسَ فَرُدَّت بِغَيظِها الأحقادُ

(الخفيف)

أورد في الأبيات السابقة رأي ابن عباس في عليّ كرّم الله وجهه عندما ذكر أنّ عليّاً ذو شخصيّة فريدة جمعت فيها الأضداد، فهو زاهد حاكم، حليم شجاع، ناسك فاتك، فقير جواد، وهو إضافة إلى ذلك قد أقرّت بفضله الحسّاد. ومن يكذّب ذلك القول فقد كذّبت أقوام لوط وعاد المرسلين من قبل، كما أذهب الله الرجس عنه. وتكذيب الأقوام للأنبياء وارد في القرآن الكريم، وقد كذّبت الأقوام رسلها من قبل، قال تعالى: "وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ" (سورة الحج 42).

وهذه الآية تصف علو ومكانة سيدنا نوح وعاد عليهما السلام عند الله تعالى، وما خصّهم به دون غيرهم من البشر، فقد أخذ الحلّي هذا المعنى وتشرّبه وامتصّه وأعاد بناءه بسياق لغوي جديد يظهر فيه أهميّة المثال كما صوّرته الآيات القرآنية بالنسبة للآخر، " فيتجاوز الثوابت ويتعالى فوق العلو، وهذا العلو ضارب في عمق الماضي فيدفع للمستقبل، إذ يتلاشى الزمان ويصبح الحضور للممدوح في أبدية تندفع متجاوزة في قوّتها الأخر الذي لا يصلح له شمالاً ".[15]

أمّا قول الشاعر (إِنَّما اللهُ عَنكُمُ أَذهَبَ الرِجسَ) فيتوافق مع المعنى ولفظه الوارد في الآية الكريمة: "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" (سورة الأحزاب 33).

وهكذا استطاع توظيف جزئيتين من آيتين كريمتين في شعره بعد أن حوّر ألفاظهما وغيّر صيغهما، وقدّم وأخّر فيهما لتكونا مناسبتين للوزن العروضي.

---

[14] المصدر نفسه، ص:88 – 89.

[15] زامل، صالح، تحول المثال: دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، عمان، دار الفارس، 2003م، ص:11.

ويجسّد توظيف الحلّي لآيات القرآن الكريم التعبير عن معنى القوّة والشجاعة في مدحه السلطان الملك الناصر، فيقول:[16]

يا أَيُّها المِلِكُ العَزيزُ وَمَن لَهُ شَرَفٌ يَجُرُّ عَلى النُجومِ ذَوائِبا
أَصلَحتَ بَينَ المسلِمينَ بِهِمَّةٍ تَذَرُ الأَجانِبَ بِالوَدادِ أَقارِبا
وَحَرَستَ مُلكَكَ مِن رَجيمٍ مارِدٍ بِعَزائِمٍ إِن صُلتَ كُنَّ قَواضِب
حَتّى إِذا خَطِفَ المِكافِحُ خَطفَةً أَتبَعتَهُ مِنها شِهاباً ثاقِبا

(الكامل)

تحدّث عن فضل ملكه في الإصلاح بين المسلمين، وشجاعته في الدفاع عن مُلكه، ولجأ إلى آيات القرآن الكريم حيث وجد فيها ما يساعده على التعبير عن أفكاره والمعاني التي يريدها، فاستعارها ووظّفها في أبياته، وقد أخذ بيته الأخير من قوله تعالى: "إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ" (سورة الصافات 10). فقد أخذ الألفاظ (خطف، الخطفة، أتبعه، شهاب، ثاقب) وصاغها في عبارته الشعريّة بما يناسب الغرض الشعري والوزن وحرف الروي، ومن ذلك أنّه جعل (ثاقباً) منصوبة بعدما كانت مرفوعة في الآية الكريمة.

وقال يمدح السلطان الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي بن أرتق، ويصف ديواناً نظّمه على حروف المعجم:[17]

تَبَّت يَدي إِن ثَنَتني عَن زِيارَتِكُم بيضُ الصِفاحِ وَلَو سُدَّت بِها طُرُقي
كَم قَد أَبَدتَ مِنَ الأَعداءِ مِن فِئَةٍ تَحتَ العَجاجِ وَكَم فَرَّقتَ مِن فِرَقِ
وَيَومَ وَقعَةِ عُبّادِ الصَليبِ وَقَد أَركَبتَهُم طَبَقاً في البيدِ عَن طَبَقِ

(الكامل)

استعان الشاعر بقوله تعالى: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ" (سورة المسد 1)، فأخذ عبارته (تَبَّت يَدي) منها، للتعبير عن سوء صنيعه لو ألهته بيض الصفاح عن زيارة الملك المنصور. كما استعان بالآية الكريمة: "لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ" (سورة الانشقاق 19)، فأخذ منها عبارته (أَركَبتَهُم طَبَقاً في البيدِ عَن طَبَقِ)

[16] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:97.

[17] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:107، وما بعدها.

للتعبير عن شدّة وهول ما أصاب أعداءه في تلك الوقعة. والشاعر في بحث مستمرّ عن الآيات الكريمة التي يبني بها أبياته، فقد تختلف السور القرآنية، لكنّه يظلّ يبحث في القرآن الكريم عن الآيات التي تحمل المعنى المطلوب.

ويجسّد الحلّي في توظيفه لقصص القرآن الكريم معاني كثيرة. " فمن أهداف القصص القرآني إبراز حقيقة أنّ الأنبياء والرسل جميعاً عليهم صلوات الله وسلامه أتوا بكلمة واحدة، وقضيّة واحدة على تتابع الأجيال، وهي الدعوة إلى عبادة الله عزّ وجلّ "[18]، فرسالة الأنبياء واحدة، وهي الدعوة إلى صلاح البشريّة، وبثُّ معاني الخير بين الناس، وعبادة الله وحده.

ومن المعاني التي وظفها الحلّي من قصة سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام المؤازرة والعون، فقد قال مادحاً السلطان الملك المنصور الصالح شمس الدين أبا المكارم حين ولي الملك بعد وفاة أخيه الملك العادل، وذلك سنة اثنتي عشرة وسبعمائة:[19]

وَإِلَيكَ كانَ المِلكُ يَطمَحُ بَعدَه ... يَبغي جَواباً لَو سَمَحتَ بِرَدِّهِ

فَتَرَكتَهُ طَوعاً وَكُنتَ مُمَكَّناً ... مِن فَكِّ مِعصَمِ كَفِّهِ عَن زَندِهِ

وَشَدَدتَ أَزرَ أَخيكَ يا هارونَه ... لَمّا تَوَقَّعَ مِنكَ شَدَّةَ عَضدِهِ

(الكامل)

في البيت الثالث يشير الحلّي إلى موقف الملك المنصور من العرش أيام أخيه العادل، عندما سانده ووقف بجانبه يشدّ أزره، وقد استمدّ معنى هذا البيت وألفاظه من قوله تعالى: "وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي" (سورة طه 29–31)، فقد استعان بالقصص القرآني للتدليل على فكرة العون والمؤازرة.

وقد أظهر الحلّي براعة فائقة في تعامله وتمثّله للنصوص القرآنيّة وفهمها وإدراكها بشكلٍ واعٍ، مما جعل من هذه العمليّة " عمليّة تفجير لطاقات كامنة في النصّ، يستكشفها شاعر بعد آخر كلّ حسب موقفه الشعوري الراهن".[20]

---

[18] قطب، محمد، دراسات قرآنية، بيروت، دار الشروق، ط1، 1980م، ص:102.

[19] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:144.

[20] إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة، بيروت، دار العودة، ط1، 2007م، ص:32.

ومن ذلك قوله في السلطان الملك الصالح في مدحه وتهنئته بعيد الفطر في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة:[21]

قَرَّبَ الكَأسَ نَحوَ عارِضِهِ الغَض ضِ فَأَبدى العَتيقَ فَضلُ الجَديدِ
فَصَلَينا لَظىً وَأُزلِفَتِ الجَن نةُ لِلمُتَّقينَ غَيرَ بَعيد
كُلَّما أَخلَقَ التَجَلُّدُ وَجدي جادَ داعي الهَوى بِوَجدٍ جَديدِ
مِثلَ أَهلِ الجَحيمِ إِن تُذهِبِ النارُ جُلوداً تَبَدَّلوا بِجُلودِ

(الخفيف)

في هذه الأبيات وظّف الشاعر أكثر من آية قرآنيّة كريمة للتعبير عن معانيه، وجاء بضدّ ما تدلّ عليه الآيات الكريمة، فهو يتحدّث عن الخمر والعشق موظّفاً آيات القرآن الكريم بشكلٍ مختلفٍ تماماً. وكان الحلّي من أصحاب الخمر ومجالسها كما هو واضح في ديوانه. ويرى الباحث أنّ هذا التجاوز في قلب النصّ المقدّس يبعد عن المعاني العظيمة التي حملها القرآن الكريم، وعن الرسالة الخالدة التي توارثتها الأجيال. ففي البيت الثاني أخذ من آيتين كريمتين، الأولى قوله عزّ وجلّ: "وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ" (سورة ق 31).

والثانية قوله تعالى: "وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ" (سورة الشعراء 90). وفي البيت الرابع وظّف جزءاً من قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً" (سورة النساء 56). وهنا ابتعد الشاعر عن معاني القرآن الكريم التي تحرّم الخمر، ووظّف الألفاظ لتدلّ على معاني بعيدة كلّ البعد عن القرآن الكريم.

المبحث الثاني

الاقتباس من الحديث النبوي الشريف في شعر المديح عند صفي الدين الحلّي

يأتي الحديث النبوي الشريف بعد القرآن الكريم من حيث المكانة والقدسية، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع، ويمثل الاقتباس منه الانتفاع من معين لا ينضب؛ لتأثيره في ثقافة العصر الفنية المتمثلة

[21] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:189.

بالأساليب والألفاظ والصياغة، والمجال الموضوعي المتمثّل بالقيم الإسلاميّة العليا[22]. وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقيّة أو خُلقيّة، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها. "وترجع أهمية الحديث الشريف على أنّه يتمّم القرآن الكريم في بيان أحكام الشريعة الإسلاميّة".[23]

وقد نهل الأدباء والشعراء من الحديث الشريف والسيرة النبويّة، "فسيرته صلى الله عليه وسلم واضحة المعالم عبر مراحلها المختلفة، ففي كلّ موقف عِظَةٌ، ولكلّ سلوك معنىً وهدف"[24]. وهو مصدر مهمّ من مصادر التراث الإنساني، ومن المرجعيّات التراثيّة المهمّة لما يتميّز به من بلاغة التعبير عن أحاسيس الشعراء ورؤاهم. وإنّ التعامل مع هذه المصادر التراثيّة يضفي سمات جماليّة على النصوص تفوق الكلام العادي لما تتميّز به من خصائص لا تضاهيها من حيث البلاغة وقوّة التعبير وشرف اللغة وقدسيّتها.

والحلّي كان من الشعراء الذين استثمروا الحديث النبوي الشريف في قصائده المدحيّة، فوظّفه واستغلّ دلالاته وإيحاءاته للتعبير عن واقعه الشعوري وراؤه. ومن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم:[25]

ماذا تَقولُ إِذا رُمنا المدِيحَ وَقَد شَرَّفتَنا بِمَديحٍ مِنكَ مُتَّفِقِ
إِن قَلتَ في الشِعرِ حُكمٌ وَالبَيانُ بِهِ سِحرٌ فَرَغَّبتَ فيهِ كُلِّ ذي فَرَقِ

(البسيط)

فالحلّي يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكر أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام تحدّث عن وجود الحِكَم في الشعر، واحتواء البيان على السحر. وقد أخذ هذا المعنى من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ من الشِّعرِ حكمةً "[26]. ويضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجّة البالغة.

---

[22] بهجت، مجاهد مصطفى، التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، (د.م)، دار عمار للنشر والتوزيع، 2017م، ص:32.

[23] ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة، دار المعارف، ط6، (د.ت)، ص:45.

[24] البكري، خميس، قضايا تراث المسلمين، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1988م، ص:45.

[25] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:85.

[26] مالك بن أنس، أبو عبد الله، موطأ الإمام مالك، رواية يحيى الليثي، إعداد أحمد عرموش، بيروت، دار النفائس، ط2، 1971م، ص:168.

وقد وظّف الحلّي هذا الحديث الشريف في مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعاره ليكون مجسّداً للمعنى، وشاهداً عليه، وبيّن من خلاله أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدّر أهميّة البيان، ويعلم مدى أثره على المتلقّي، وأشار إلى إعجابه صلى الله عليه وسلم بجمال الحكمة وروعتها في الشعر. ومن توظيفه للسيرة النبويّة، ما ورد في القصيدة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة مولده الشريف، يقول:[27]

وَنُصِرتَ بِالرُعبِ الشَديدِ عَلى العِدى وَلَكَ المَلائِكُ في الوَغى أَعوانُ

(الكامل)

وظّف الحلّي جانباً من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما نصره الله عزّ وجلّ بأن أدخل الرعب في قلوب الكفار. ووظف جزءاً من الحديث الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "[28]. فالشاعر أخذ (نُصِرتَ بِالرُعبِ) من الحديث، وحوّل ضمير المتكّم إلى ضمير المخاطب، وزاد على ما وظّفه حرف الواو في بدايته، واتفق معه في صيغة البناء للمجهول، وجعل كلامه على سيرته صلى الله عليه وسلم مصحوباً بالدليل والبرهان.

وفي القصيدة نفسها تحدّث الحلّي عن بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم، ومنها قوله:[29]

وَالجِزعُ حَنَّ إِلى عُلاكَ مُسَلِّماً وَبِبَطنِ كَفِّكَ سَبَّحَ الصُوّانُ

وَهَوى إِلَيكَ العِذقُ ثُمَّ رَدَدتَهُ في نَخلَةٍ تُزهى بِهِ وَتُزانُ

(الكامل)

ذكر الحلّي قصّة الجذع الذي حنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وردت هذه القصّة في كتب السير والحديث بروايات مختلفة، لكنّها ذات مضمون واحد، فقد ذكر البخاري في صحيحه: "حَدَّثَنَا

---

[27] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:80.

[28] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 2002م، كتاب التيمم، رقم:335، ص:92.

[29] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:81.

أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا" .[30]

اطّلع الحلّي على هذه القصّة الثابتة في كتب الحديث، وذكرها في قصيدة مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يُظهر جانباً من ثقافته الدينيّة، ويدلّ على توظيفه لهذا الجانب من التراث في شعره.

وقال في القصيدة نفسها:[31]

وَشَكا إِلَيكَ الجَيشُ مِن ظَمَإٍ بِهِ فَتَفَجَّرَت بِالماءِ مِنكَ بَنانُ

(الكامل)

تحدّث الحلّي عن قصّة أخرى من القصص الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي ما منحه الله عزّ وجلّ لرسوله الكريم من قدرة على سقاية الناس بعدما شكَوا من العطش، فنبع الماء من تحت أصابعه.

وقد وردت هذه القصّة في كتب الحديث الشريف. ومنها ما ذكره البخاري في صحيحه: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَانَتْ صَلاَةُ العَصْرِ، فَالْتُمِسَ الوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، «فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ".[32]

استدلّ الحلّي بهذه الحادثة ووظّفها في مدحه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ليشير بها إلى معجزةٍ كرّم الله عزّ وجلّ بها نبيّه الكريم، ولتكون دليلاً على نبوّته عليه الصلاة والسلام.

---

[30] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم:3584، ص:883.

[31] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:81.

[32] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم:3573، ص:880.

وقال أيضاً:[33]

وَحَكى ذِراعُ الشاةِ مُودَعَ سُمَّهُ حَتّى كَأَنَّ العُضوَ مِنهُ لِسانُ

(الكامل)

من القصص التي وظّفها الحلّي قصّة اليهودي الذي وضع السمّ للرسول صلى الله عليه وسلم في ذراع الشاة، واستطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرف ذلك، ووردت هذه القصّة في كتب السيرة والحديث، ومن ذلك ما ذكره الإمام أحمد في مسنده: "كَانَ أَحَبَّ الْعُرَاقِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذِّرَاعُ، ذِرَاعُ الشَّاةِ، وَكَانَ قَدْ سُمَّ فِي الذِّرَاعِ، وَكَانَ يَرَى أَنَّ الْيَهُودَ هُمْ سَمُّوهُ"[34]. فالحلّي تناول هذه الحادثة المعروفة ليبني بها بيته، واستثمرها للتعبير عن معنى المدح.كما تناول حادثة الإسراء والمعراج، ووظفها في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم، فقال:[35]

وَعَرَجتَ في ظَهرِ البُراقِ مُجاوِزَ الـ سَبعِ الطِباقِ كَما يَشا الرَحمنُ

وَالبَدرُ شُقَّ وَأَشرَقَت شَمسُ الضُحى بَعدَ الغُروبِ وَما بِها نُقصانُ

(الكامل)

أورد الحلّي "حادثة انشقاق القمر التي حدثت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم"[36]، ووردت في كتب السيرة والحديث، ومنها ما ورد في صحيح البخاري: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ".[37]

وقد استثمر الحلّي هذه القصّة أيضاً ليدلّ بها على معجزة أخرى من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالحلّي لجأ إلى توظيف الحديث الشريف والسيرة النبويّة في شعره وخاصّة في قصائد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجد فيها دليلاً واضحاً على صدق الرسالة وسموّها.

---

[33] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:81.

[34] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، إشراف عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م، رقم الحديث: 3733، ج:6، ص:278.

[35] الحلي، صفي الدين، الديوان، ص:81.

[36] حوى، سعيد، الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، دار السلام، ط7، 2005م، ص:319.

[37] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم:3637، ص:894.

ورغم أنّ توظيف الحديث الشريف كان قليلاً في شعر الحلّي، إلّا إنّه كشف لنا جانباً من حدود معرفته بالحديث الشريف والسيرة النبويّة، وهذا الجانب لا يتعدّى الأحاديث النبويّة المشهورة، وخاصّة ما يتّصل منها بالسيرة النبويّة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم. وأنّه وظّف الحديث الشريف في غرض المديح.

النتائج:

1- صفي الدين الحلّي أحد الشعراء الذين تأثروا بالقرآن الكريم في شعره المدحي، ولم يقتصر تأثره على الاقتباس القرآني في شعره فحسب، بل ظهر ذلك التأثر حتى في بعض أقواله.

2- الاقتباس النصّي المباشر من أقلّ الأنواع حضوراً في شعر الحلّي المدحي.

3- النصّ القرآني في شعر الحلّي جاء جليّاً تارةً، وخفيّاً تارةً أخرى، وجاء موافقاً للنصّ القرآني تارةً ومخالفاً له تارةً أخرى.

4- أجاد الحلّي في نمط الاقتباس القرآني، فهو أدلى بمجموعة جميلة من الصور والأفكار، ولا سيّما في غرض المديح.

5- الثقافة القرآنيّة للحلّي – بكلّ أنواعها – مكّنته من إيصال أفكار عديدة حاول فيها إعطاء أكبر بعد دلالي يفهمه القارئ.

6- وسِمَ شعر الحلّي بمجموعة من الأحاديث النبويّة الشريفة، التي يبتغي منها تعزيز المعاني الشعرية بالثقافة الدينية.

7- تأثر الحلي بالقرآن الكريم، وظهر آثاره في شعره، وذلك من خلال استخدامه معانيه وألفاظه وصوره.

8- أشار الحلي في شعره لبعض السور مثل: النجم، الطلاق، الفتح، الحج، الأحزاب، المسد، الانشقاق، طه، ق، النساء.

9- تأثر الحلي بالقصص الدينية وأفاد منها بحكم قربه من السلطان الملك الناصر، والملك المنصور نجم الدين أبو الفتح غازي بن أرتق.

10- اقتبس الحلي الحديث النبوي الشريف النصي واللفظي وبالإشارة لتجميل أبياته الشعرية.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مجلّد2، ط 2، 1992م.

3- إسماعيل، سيّد عليّ، أثر التراث العربيّ في المسرح المعاصر، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

4- إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة، بيروت، دار العودة، ط1، 2007م.

5- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، إشراف عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م.

6- أصفهاني، محمد خاقاني – جلائي، مريم، التراث الديني في شعر سميح قاسم شاعر المقاومة الفلسطينية، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد: 5، ربيع 1390هـ – 2011م.

7- الأيوبي، ياسين، صفي الدين الحلّي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1971م.

8- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 2002م.

9- البكري، خميس، قضايا تراث المسلمين، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1988م.

10- بهجت، مجاهد مصطفى، التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، (د.م)، دار عمار للنشر والتوزيع، 2017م.

11- الجبوري، جمعة حسين يوسف، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع – مؤسسة دار الصادق الثقافية ، ط1، 2012م.

12- الحلي، صفي الدين، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت: دار صادر، ط1، (د.ت).

13- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، (د.ط)، 1977م.

14- حوى، سعيد، الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، دار السلام، ط7، 2005م.

15- زامل، صالح، تحول المثال: دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، عمان، دار الفارس، 2003م.

16- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة، دار المعارف، ط6، (د.ت).

17- عباس، عرفة حلمي، الاقتباس القرآني والحديثي في مقامات الحريري، (د.م)، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م.

18- قطب، محمد، دراسات قرآنية، بيروت، دار الشروق، ط1، 1980م.

19- الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيّات، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت).

20- مالك بن أنس، أبو عبد الله، موطأ الإمام مالك، رواية يحيى الليثي، إعداد أحمد عرموش، بيروت، دار النفائس، ط2، 1971م.

21- هياجنة، محمود سليم، الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، عمان،عالم الكتب، 2009م.

22- وهبة، مجدي – كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.